تفاعل الصحافة الأمريكية والرأي العام الأمريكي مع سياسة حكومة أيزنهاور تجاه الثورة الجزائرية*

بقلم جون رويدي John Ruedy

تعريب د. علي تابليت -جامعة الجزائر

حينما اعتبرت إدارة الرئيس دوايت د. أيزنهاور Dwight D. Eisenhower خيارات مناصرة الجزائريين في كفاحهم التحرري أو مداراة جهود فرنسا لمنعهم من تحقيق أهدافهم أو أداء دور الوسيط، فإن خيارها الفطري –وإن كان مُزعِجا قد مال إلى حليفها الأوروبي الذي أعطته عموما دعمها بانتظام جدير بالملاحظة. إن قيادة السياسة الخارجية في النظام السياسي مثل النظام الموجود في الولايات المتحدة لا تُمليها فقط العناصر الموضوعية للمشكلات المطروحة وتقييم المصالح الأمريكية من طرف الإدارة، بل يُحددها أيضا المناخ السائد في الرأي العام تجاه هذه المشكلات والكيفية التي يُعالج بها النظام هذه المشكلات، والرأي الصائب بالنسبة للحكومة يتمثل في السهر على إنجاز ما تراه في مصلحة الولايات المتحدة طالما كان ذلك ممكنا أو تسمح به أو تُوافق عليه قطاعات من هيئة الناخبين حيث تكمن سلطتها أو التي تحسُّ أنها مسؤولة تجاهها، وقد ظهرت عبر السنين عدة دراسات تُعالج تعريف وتطور السياسة التي تنتهجها الولايات المتحدة تجاه الجزائر وترى أنها رهينة الضغوط والرؤى من الخارج. ولا نعرف كثيرا عن المناخ السائد في الرأي العام في الولايات المتحدة حينذاك والطريقة التي يتعامل بها مع تقدم حرب التحرير الجزائرية والطريقة التي يرى بها سياسة الحكومة تجاه هذا النزاع. وتحاول هذه الدراسة أن تستكشف هذا المناخ من خلال النظر في المواقف الواردة في

المقالات والافتتاحيات ضمن عدد من المنشورات التي تمثل تشكيلة من المجموعات في المجتمع الأمريكي، لها شيء من التأثير في اتخاذ القرارات السياسية، وتبدأ هذه الدراسة بتفحص العديد من المواقف الواردة في افتتاحيات جريدة نيويورك تايمز، اليومية الأمريكية الأكثر تأثيرا، وهي مواقف متغيرة وكثيرا ما تكون متناقضة. ولوحظ ظهور الآراء اليمينية المضادة للماركسية النشطة، في جريدة "ناسشيونال ريفيو" National Review في حين نجد الآراء اليسارية في التصريحات التي يدلي بها زعماء النقابات وفي الآراء المعلنة في "نيو ربابليك" New Republic . ونجد وجهات النظر التي تُعبر عن الأرثوذوكسيةالبروتستانية في "كريستيان سانتشري Christian Century ووجهات نظر الكنيسة الكاثوليكية في "الخير العام" Commonweal ووجهات نظر اليهود في "كومنتري" Commentary.

نقلا عن مجلة التاريخ المغاربية، جوان 1986 ص ص 116-137.

❖ الأستاذ جون رويدي John Ruedy أستاذ متميز من Centerfor Contemporary ArabStudies, Georgetown University – USAلقد طلبت من الأستاذ ترخيصا لترجمة هذا المقال فرد علي بالعبارات التالية بالإنجليزية أوردها هنا للأمانة العلمية.

Sorry about all the confusion you certainly have mypermission to translate and publish this article, John Ruedy.. 20/10/2012

وفي حين أضحى من المستحيل القول إلى أي مدى من الدقة تعكس هذه القائمة حدود الرأي العام الأمريكي تجاه الثورة الجزائرية، فإنه من الصحيح أيضا أن ناشري هذه الصحف كان على العموم في مركز جيّد لفهم مشاعر هؤلاء القرّاء وكذلك للتأثير عليهم. غير أن الشيء المهم أكثر من غيره هو أن الرأي العام القادر على التأثير في السياسة ليس الرأي السائد بل هو الرأي المترابط وأن آراء رؤساء الحكومات الذين تمثلهم هذه الصحف كانت آراء لا يمكن لرجال الدولة أن يتجاهلوها.

سياسة أيزنهاور تجاه الثورة الجزائرية

في وقت يجب أن ينتظر تقرير يكاد أن يكون نهائيا حول السياسة الأمريكية تجاه الثورة الجزائرية، فتح الأرشيف الذي يتضمن وثائق يمكن وضعها في متناول الجمهورخلال هذه العشرية، فإننا نتوفر الآن على ما يكفي من المعلومات لتقديم خطوطها العريضة. إن كبرى الصعوبات التي واجهها دوايت أيزنهاور ووزير خارجيته جون فوستر دالاس John Foster Dulles في إعداد توجه سياسي واضح والإبقاء عليه هو تناقض الولايات المتحدة من جهة بين ميراثها المُضاد للاستعمار وبين مسؤولياتها بصفتها زعيمة الكتلة الغربية التي عقدت العزم على احتواء نفوذ الاتحاد السوفياتي والصينيين والايديولوجيات الشيوعية التي يُروّجون لها، من جهة أخرى، هناك جانب آخر من هذا التناقض بالذات يكمن في محاولة التوفيق بين

احتياجات الحلفاء الآنية التي كانت تمثل نظاما عالميا في طريق الزوال بشكل واضح مع متطلبات نظام جديد بدا ظهوره لا مفر منه وتُسيطِرُ عليه أمم آسيا وأفريقيا التي كانت مستعمرة فيما مضى. إن الولايات المتحدة الأمريكية التي ظهرت إلى الوجود في نهاية القرن الثامن عشر بعد كفاحٍ مسلحٍ مرير ضد الوطن الأوروبي ترى في نفسها المحرك الأول للمفهوم اللوكينيconcept Lokien القائل إن جميع الشعوب يجب أن تكون حرة في تشكيل حكوماتها وفي تعديلها وفي التخلص منها دون ضغوط داخلية أو خارجية. في حين كان من المشروع طرح درجة وفاء أمريكا للإيديولوجية المناهضة للاستعمار فإن الكثير من الأمريكيين مازالوا يعتبرون أنفسهم مناهضين للاستعمار وكثيرا ما كانت القوى الامبريالية تعتبرهم أيضا مناهضين للاستعمار وكذلك العديد من الأمم التي لم تنل استقلالها بعد. إن ضعف الموقف المناهض للاستعمار لفسح المجال لما يمكن النظر إليه كمصلحة عُليا للدولة تتماشى معبروز أمريكا تدريجيا كقوّة عالمية على الصعيد الاقتصادي والسياسي، وهو البروز الذي بلغ ذُروته أثناء الحرب العالمية الثانية وبعدها. وتمثل فرنسا حجر الزاوية في منظومة تحالف كان هدفها احتواء زحف القوات السوفياتية والنفوذ الشيوعي على القارة الأوروبية وفي غرب البحر الأبيض المتوسط. وبناء على ذلك كان ينبغي النظر إلى مطالب المقاتلين الجزائريين بالمقارنة

مع المخاطر العديدة لعزل فرنسا عن بقية الحلف وإضعاف سلطتها وسُمعتها من خلال إجبارها على تفكيك إمبراطوريتها وفوق ذلك كله، جعلها ترتبك لدرجة أن حكومات الجمهورية الرابعة الضعيفة أصلا تُصبح غير قادرة على أن تبقى على مواقفها تجاه الشيوعية الفرنسية أو ضد قِوى داخلية أخرى تريد ضرب الاستقرار. ومن الممكن التمييز بين تطورات ثلاثة في سياسة الولايات المتحدة الأمريكية تجاه القضية الجزائرية. التطور الأول يبدو أنه أثارته اعتبارات عسكرية، فالقيادة العامة الأوروبية لقوى التحالف في حلف شمال الأطلسي كانت قد اشتكت من إرسال وحدات فرنسية من الحلف إلى الجزائر، واشتكت جبهة التحرير الوطني من أن فرنسا كانت قد استعملت أسلحة أمريكية لقمع الجزائريين. وبين عام 1954 وبداية عام 1956 ظهرت فعلا إلى الوجود سياسة أمريكية من خلال رفض منع حليفها من أن يُحوّل إلى الجزائر الوحدات والمعدات المخصصة لأهداف أخرى. إن الولايات المتحدة كانت تدعم بكل وضوح - وإن كان ذلك ضمنيا – فرنسا في الحرب وكانت ترفض مساعي الوطنيين الجزائريين. وفيأكتوبر 1955 كانت الولايات المتحدة قد أعربت عن خيارها بصورة أكثر صراحة حيث منحت تأييدها في الجمعية العامة للأمم المتحدة للموقف الفرنسي القائل بأن القضية الجزائرية لا تهم سوى فرنسا وبالتالي فقد خرجت من إطار قضاء المنظمة الدولية[1]وإذا كانت جبهة التحرير الوطني قد استغربت

كثيرا المنحى الذي أخذته السياسة الأمريكية فإن العناصر المناصرين للمستوطنين في الوسط واليمين في فرنسا ظلوا حذرين بشأن صلابة التزام الولايات المتحدة تجاه فرنسا. وبالنظر إلى أن السياسة الجديدة للولايات المتحدة تجاه الجزائر كانت معللة خصوصا بالرغبة في منع الإحساس بالإنسلاب (في فرنسا) وتشجيع العناصر المعتدلة والمحافظة من بين الأحزاب السياسية الفرنسية، فإن الولايات المتحدة أعلنت في النهاية وبصورة رسمية سياستها تجاه الجزائر يوم 20 مارس 1956. فقد أكد السفير الأمريكي في باريس ك. دوغلاس ديلونC. Douglas Dillon، وهو يتحدث باسم أيزنهاور، رسميا أن حكومته تعتبر أن الجزائر قضية فرنسية بحتة. وفي الوقت ذاته أكد من جديد التزام أمريكا بمناهضة الاستعمار الذي أعاد تحديده بالمعونة إلى "الشعوب غير المحظوظة في العالم" لتُصبح " قادرة بأسرع ما يمكن على بلوغ وضع من الحرية يمكنها من أن تختار مصيرها بكل حرية وبكل عقلانية". وقد اختزل هذا التصريح الكفاح التحرري الجزائري في فئة "الإرهاب الأعمى" الذي لا تتحمله حكومة الولايات المتحدة. وقال ديلون فيما بعد أن "الولايات المتحدة تقف بكل ثبات وراء فرنسا في البحث عن حلّ **ليبرالي** ومُنصِف لمشاكل الجزائريين" [2] وهذا الالتزام الذي يبدو سيفا ذا حدين قد ظل أساسا لسياسة الولايات المتحدة تجاه الجزائر خلال سنوات أيزنهاور.

المرحلة الثانية في سياسة الولايات المتحدة في هذا النزاع تكاد قد بدأت بالتزامن مع تصريح ديلون الذي أدلى به في نفس يوم استقلال تونس. إن حلول استقلال تونس والمغرب وفر السياق الجغرافي والسياسي لتدويل حرب الجزائر الذي لا يمكن للولايات المتحدة أن تُغفله والذي جعل انضمام الولايات المتحدة إلى نظرية "القضية الداخلية" أقل عقلانية أكثر فأكثر. إن الدولتين اللتين استقلتا حديثا كانتا متورطتين حتما في كفاح الجزائريين. ثم إن الولايات التي لم تكن تريد حملهما على الوقوف مع من كان على الحياد أو من كان معاديا، صارت مُجبرة أكثر فأكثر على اتخاذ مواقف لا تروق فرنسا وعلى أن تولي عناية أكبر لوُجهة النظر العربية. وفي حين كانت السياسة الرسمية لم تتغير بين مارس 1956 وماي 1958، فإن المساهمة المتزايدة للبلدين الجارين للجزائر، إلى جانب شل الجمهورية الرابعة تدريجيا، كانت تدفع الولايات المتحدة إلى أن تتجه ببُطء وبحذر شديد نحو موقف شبيه بموقف الوسيط. وكل هذا تغيّر مع عودة الجنرال ديغول إلى الحكم. وإذا كانت حتمية استراتيجية دعم حليف هزيل قد نجحت في أن تُرجح على حساب نزوع فِطري إلى مناهضة الاستعمار لدى صانعي السياسة الأمريكية، فإن مجيء الجمهورية الخامسة التي ظهرت أقوى من الناحية السياسية ولا تُخفي عداءها للشيوعية جاءت لتستجيب لآمالهم فأيدوا ديغول. وفيما بين 1958 و1961 تفاعلت الإدارة الأمريكية مع نمو الكتلة الآفرو- أسيوية من حيث العدد ومن حيث النفوذ ومع الانتقادات

الداخلية من خلال اعتماد خطاب تقرير المصير أكثر من ذي قبل ومن خلال الامتناع عن التصويت على قرارات الجمعية العامة حول الجزائر. غير أن الخطاب الجديد والامتناع عن التصويت وإن كانا يُثيران من حين لآخر غضب الجنرال ديغول، فلا يوجد ما يُشيرُ إلى أن الولايات المتحدة طوال هذه الفترة قد مارست عليه أي ضغط جدِّي كان ليقوم بتغيير الإستراتيجية.

صحيفة "نيويورك تايمز"

حيث إن "**نيويورك تايمز**" هي الصحيفة الأمريكية الأكثر اكتمالا فإنها كرست آلافا من الأعمدة طوال ثماني سنوات لحرب التحرير الجزائرية ونشرت المئات من التحاليل كتبها صحافيون ودبلوماسيون وأخصائيون. كما خصصت لهذا الموضوع على الأقل حوالي مائة من افتتاحياتها بأكملها أو بصورة جزئية. وقد حللت من أجل هذه الدراسة حوالي واحدا وستين من أبرز افتتاحياتها حاولت من خلالها تمييز وجهات نظر صحيفة "التايمز" حول خمسة موضوعات هي : مصالح الولايات المتحدة في الجزائر، وطبيعة السياق الاجتماعي والتاريخي، وأسباب هذا النزاع، وتشكيلة الحلول الممكنة، وتقييمها للسياسة الأمريكية.

في إحدى افتتاحيتها المنشورة في شهر أوت 1955 حددت صحيفة "**نيويرك تايمز**" مصلحة أمريكية في شمال أفريقيا تتبع

بصورة طبيعية من ثنائية السياسة الشاملة السائدة في الولايات المتحدة في تلك العشرية. فأفريقيا الشمالية الفرنسية كانت لها أهمية إستراتيجية لدرجة أنها كان لابدّ من "حمايتها للعالم الحرّ" [3]، وهذا هو سبب الذي جعل أقاليم ذات أهمية كبرى توضع أصلا تحت حماية منظمة الحلف الأطلسي الذي كان بدوره سببا لاحتفاظ الولايات المتحدة في المنطقة بقواعد عسكرية في غاية الأهمية [4]. ولم تضع أبدا **صحيفة التايمز** موضع الشك الرأي القائل أن الدول والشعوب التي لا تنتمي إلى أمريكا "العالم الحرّ" تنتمي بالضرورة إلى العالم المعادي. وبما أن تفسيرها للحياد الجديد الذي وُلد في تلك السنة في باندونغ كان سلبيا جدّا، فقد رأت في خيارات السلطة الفرنسية نزولا إلى "طغيان إقطاعي على السكان المحليين أو فوضى وحربا أهلية" [5]. ووراء الفوضى والحرب الأهلية كان يختفي الخطر الشيوعي.

وفوق الكارثة الإستراتيجية التي قد تحدُث في حالة ما إذا انزلقت الجزائر خارج الكتلة الغربية يوجد أثر فقدان الجزائر في الساحة الأوروبية. واعتبرت **"التايمز"** إبقاء الجزائر وشمال أفريقيا العامل الوحيد الذي يمكنه أن يمنع فرنسا من السقوط في مصاف "القوى من الدرجة الثالثة" [6]. غير أنه من وِجهة نظر الناشرين فإن المسألة القابلة للانفجار والمتمثلة في هشاشة أقلية المستوطنين التي كانت تطرح على رجال السياسة وعلى استقرار كانت أكثر

خطورة. وكانت أكثر أهمية من الموقع الإستراتيجي الذي تحتله الجزائر وحتى من استقرار فرنسا التي يتوقف عليه سلامة الحلف الغربي [7]. غير أن نفس المنطق تطلب من الولايات المتحدة أن تعمل بسرعة على التوصل إلى قرار من أجل أن تعود من جديد الوحدات والمعدات المحولة إلى أفريقيا الشمالية، لتدعم الموقع العسكري للحلف الأطلسي [8].

ويبدو أن أقوال "**نيويورك تايمز**" عن التاريخ الجزائري وتحليلها الاجتماعي المتلازمين مستوحيان في جزء كبير منها من المدرسة الاستعمارية المحافظة مع مساهمات من حين لآخر يقدمها مستعمرون ذوو النزعة الليبرالية. إن فرنسا خلقت الجزائر التي كانت "بلدا منقسما في حالة من البؤس وغير مستغل

في جزء كبير منه حينما حلت بها فرنسا في عام 1834 (هكذا)" [9]. لقد اجتهد المستوطنون في العمل وتنظيم حياتهم في الجزائر. إنهم يملكون أموالا ويحوزونها بصورة شرعية. ولا يوجد تعريف للاستعمار أكثر غباء من التعريف القائل إذا ما "حاز أجنبيّ قطعة أرضٍ فقد سرقها من أحد السكان المحليين". إن وجود الجزائر اليوم المتحضرة والمتطورة من الناحية الاقتصادية هي ثمرة جهود وابتكار من جانب الأوروبيين استمرت أكثر من قرن من الزمن ولا يُمكن القبول بأن ينطبق عليها بكل بساطة معنى عبارة

"مستعمرة" [10]. ومن غير اللائق على الخصوص لمندوبي مجتمعات مازال معظمها يعيش في القرون الوسطى مثل العربية السعودية واليمن أن يُنصبوا أنفسهم في الأمم المتحدة قُضاة للجزائر الفرنسية [11].

وخلصت صحيفة "**نيويورك تايمز**" من الناحية الأخرى التاريخية أن أغلبية السكان المسلمين مختلفة اختلافا عميقا عن الفرنسيين من حيث نمط العيش ولا يسبق أن وُجِد اندماج جدير بهذا الاسم. فمعظم السكان المسلمين بقي "متأخرا" بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى في المجال الاقتصاد والتربية والسياسة، ثم فجأة جاء الانفجار الديمغرافي. "إن السكان المسلمين الآن قد زاد عددهم بنسبة الثُلث قياسا إلى ما كان عليه قبل الحرب ومازال في تزايد بنسبة 250.000 نسمة في السنة. وقد كانت كل جهود فرنسا في تحسين النموّ الاقتصادي - وهي جهود ضخمة – تكاد أن لا تنمو بنفس نسبة عدد السكان".

وحسب "التايمز" صحيح أن "العديد من الخطايا في الماضي ومن الفشل سببها مرتكبها" [13] في الجزائر، وهي خطايا لم يسبق أن كان مُرتكبوها خصوصيين. والفشل الأكبر يبدو في رفض منح الاندماج l'assimilation للأغلبية وهذا ما كان ضمنيا في عرض المواطنة offre de citoyenneté المقدم في عام 1947 [14]. وانتقل المحررون فيما بعد إلى إبراء ذمة النظام الاستعماري بالقول إنه

ليس من الواقع العملي الوصول إلى "مساواة فعلية" سواء في الجزائر حيث عدد المسلمين يفوق ثماني مرات عدد الأوروبيين أو في فرنسا حيث يؤدي التمثيل النسبي إلى تنصيب 150 نائبا جزائريا من أصل 627 في الجمعية الوطنية [15]ولم تصدر أية افتتاحية في "**نيويورك تايمز**" تُشير إلى العلاقة بين "التخلف الاقتصادي والسياسي وفي التربية" بين السكان المسلمين من جهة واحتكار السلطة الاقتصادية والسياسية الموجودة في حوزة المعمرين. وفي حين أظهرت "**نيويورك تايمز**" دوما تعاطفا وتفهما تجاه التردد الذي كانت تُبديه فرنسا في التخلي عن مواطنيها الذين قاموا طوال 130 سنة بزراعة الأرض وتنمية الصناعات وبناء المدن وبالتعليم وحاربوا وضحوا بأرواحهم من أجل أن تبقى الجزائر مرتبطة بفرنسا [16]. ولم تُقدم أية افتتاحية حتى بصورة رمزية صورة الأغلبية المسلوبة ثقافتها ووسائلها الاقتصادية [17].

وبالنظر إلى النوعية الوثيقة للتحليل التاريخي الذي جاءت به "**نيويورك تايمز**" فليس من العجيب أن نلاحظ أن نظرتها لجذور النزاع الفرنسي الجزائري وطبيعته كان قبل السنين الأخيرة على الأقل، مليئة بالتناقض. فعلى مستوى مُعين فهم أصحاب هذه المقالات فعلا أن الصعوبات مصدرها أن البعض يُسمي جزءا من العالم "على أنه جزء لا يتجزأ من فرنسا" في حين أنه يُحرم

الساكنون فيه من الحقوق التي يتمتع بها الفرنسيون في نفس "فرنسا" هذه بالذات [18]. لكن على الصعيد العملي لم يستطيعوا إقامة العلاقة بين حالة خضوع أغلبية المسلمين واندلاع الثورة في أول نوفمبر 1954.

وطوال سنتي 1955 و1956 لم تتحدث الافتتاحيات سوى عن الوطنية كأحد العوامل، وليس العامل الجوهري عموما، في الاضطرابات آنذاك. وفي مناقشته الأولى حول المسألة في الثامن أوت 1955، حمّل الناشر المسؤولية لـ "آثار متوافقة ومعقدة للنزعة الوطنية المحلية وللتنافس العنصري وبين السلالات الحاكمة التي يُضاف إليها تغلغل شيوعي خفي وصارت أكثر خطورة بحكم ضُعفِ فرنسا...." [19]. وبعد بضعة شهور تحسنت عملية التحليل فأدرجت "كل الاضطرابات وسم النزعة الوطنية المعصرة التي تُغذيها شتى أنواع الحرمان والنخبة الشابة الصاعدة والشرّ الذي أحدثته النزعة الإسلاموية الجارفة من خلال مصر والجامعة العربية" [20]. وفي حوالي شهر ماي 1956 صار التحليل يعتبرُ أن الفرنسيين ضحية مسار تاريخي عالمي يتميز بـ "وطنية متفجرة ولا تُقاوم" [21]

تبدو أنها مستوردة من الخارج إلى الجزائر وتغمرها كالسيل الجارف. إنه تعديل طفيف في نظرية "النفوذ الأجنبي" أدى بالناشر إلى القول في فيفري 1957 "لا توجد وطنية جزائرية حقيقية فالوطنية

اليوم مُصطنعة تُحركها مصر بدعم من القوميين العرب وفي شمال أفريقيا والمساندة العمياء من أمم آسيوية مثل الهند..." [22]

وابتداء من منتصف عام 1956 تحدثت "التايمز" فعلا أقل عن الشيوعية على أنها القوة الأجنبية المباشرة وتحدثت أكثر فأكثر عن عبد الناصر ومصر والجامعة العربية التي تختفي وراءها موسكو [23]. ومن المهم ملاحظة أن الناشرين من يُعطوا أية أهمية للأديولوجيات التي تُنادي بـ "العروبة" و"القومية العربية" التي كانت الحركات المهيمنة في المنطقة آنذاك. وعِوض هذا لم يتفطنوا سوى إلى التطلعات غير المستقرة لأعضاء الجامعة العربية "الذين لم يستطيعوا حتى من خلال الدعم الشيوعي الذي يبدو أنهم حصلوا عليه، أن يفرضوا آراءهم بخصوص هذه المسألة [24]. وحينما قدمت 12 دولة عربية في واشنطن لائحة لوقف المساعدة العسكرية والاقتصادية التي كانت تُسهل على فرنسا قمع الوطنيين الجزائريين لاحظت صحيفة "التايمز" وهي غاضبة أن الولايات المتحدة ينبغي عليها أن لا تعتبر بكثير من الجدية انفتاح الدول التي لا تعترف بالحق في وجود "أمة إسرائيل الحرة" [25]. ويبدو واضحا أن الرفض الذي أبدته صحيفة "**نيويورك تايمز**" لأصالة الوطنيين الجزائريين مرتبط بكُرهها للوطنية العربية وللقومية العربية عموما وأن هذا الكُره بدوره مرتبط بموقف القومية العربية من القضية الفلسطينية.

وبعد الانتفاضات الأولى التي قام بها العسكريون والمستوطنون اندثرت النظرية القائلة أن "الخطأ هو ما قام به عبد الناصر" لتترك المجال للرأي القائل أن المتطرفين من الجانبين هم المسئولون بصورة أساسية [26]. وفي أثناء ذلك انقاد الناشرون في مارس 1959 إلى اعتبار أن "الوطنية في أيامنا نداء مُلتهِف وغير عقلاني ومُلتهِب للتحرر مهما كان الثمن من كل سيطرة أجنبية" والأرجح أنه من المفروض أن يتم القبول بها [27]. وفي جافني 1960 اكتشفوا أن ثورة أول نوفمبر 1954 كانت لها جذور " في... الحركة الوطنية التي كانت موجودة بشكل أو بآخر منذ العشرينيات" [28]. وفيما بعد وفي نفس هذا الشهر خلُص الناشرون إلى القول "إننا بصدد مشاهدة تمرد وطني أصيل في الجزائر وليس فقط ثوران يائس من وطنيين متعصبين" [29]. ومنذ البداية إلى غاية شهر أوت 1957 كانت "**نيويورك تايمز**" مُقتنعة أن الولايات المتحدة كان يتعين عليها أن تدعم الجريدة في كونها تُعلن علانية أنها الحيلة القانونية في اعتبار الجزائر مسألة فرنسية محضة لأن ذلك كان الإستراتيجية الأنجع في منع العناصر الهدامة مثل الاتحاد السوفياتي والجامعة العربية والكتلة الآفرو- آسيوية من التأثير في النتيجة [30]. بعد ذلك لما تكاثرت النزاعات بين فرنسا والمغرب وتونس، صارت "التايمز" مُقتنعة بأن الحرب أصبحت فعلا مُدوّلة ولكنها استعملت هذا الاقتناع الجديد لتُبرر ليس مساهمة المجموعة الدولية وإنما دورا أكثرا نشاطا من الولايات المتحدة [31]ومع وصول الجنرال ديغول للسلطة نصحت

"التايمز" مرة أخرى بأن تُترك لفرنسا مسؤولية البحث عن حلٍّ [32]. وإن كانت تُشجع امتناع الولايات المتحدة على الامتناع عن التصويت على قرارات الجمعية العامة بخصوص المسألة [33].

وفي حين نصحت "التايمز" الولايات المتحدة – ما عدا في الأشهر الأخيرة من الجمهورية الرابعة - بأن تترك لفرنسا المبادرة وفيما لم يتناول أبدا تحليلها التاريخي والاجتماعي جوهر المشكلة الاستعمارية، فقد تفطنت منذ البداية أنه أصبح من الحتمي للنظام الاستعماري أن يقوم ببعض التعديلات. فمن القبول المحتشم في جوان 1955 بأن "فرنسا يتعين عليها أن تجد حلاّ يستجيب بصورة أكبر لتطلعات الشعوب المسلمة" في الجزائر [34]، وصلت "التايمز" في شهر أكتوبر من نفس السنة إلى اعتبار أن الخيارات تتمثل إما في الاندماج أو النظام الفدرالي [35] وفي بداية عام 1956 صارت تميل أكثر فأكثر إلى النظام الفدرالي [36]. أما الاستقلال في حد ذاته فقد كان مستحيلا ليس فقط بسبب احتياجات المستوطنين بل وكذلك بسبب "حالة تخلف" الأغلبية المسلمة وعلى الخصوص بسبب تبعيتهم الاقتصادية لفرنسا [37]. في نفس الوقت بدأت الصحيفة في تشجيع "التميز الجديد للبلاد تبعا للخطوط العنصرية والدينية من خلال إعطاء المزيد من الحرية للحكومة المحلية مع الإبقاء على الروابط مع فرنسا" [38].

غير أنه في 1957 قبلت "**التايمز**" بأنه "قد يكون من الصعب دون شك أن يجد المرء شخصا – خارج فرنسا والجزائر- يؤمن بإمكانية حلّ غير الاستقلال أو استقلال ذاتي يكاد يكون كاملا" [39]، وبدأت تتمنى أن تبدأ فرنسا وجبهة التحرير الوطني التفاوض من أجل التوصل إلى حلّ وسط [40]. وبعد البحث خلال مدة قصيرة عن التشبث بتصريح طنجة كأساس لجزائر مرتبطة بفدرالية مغاربية مرتبطة بدورها بفرنسا [41] جاءت "**التايمز**" لتُعرب عن إعجابها بمبادرات ديغول المحتملة الرامية إلى تحقيق ما دون الاستقلال ومساندتها دون انتقادها عموما. كما أثنت على الجهود من أجل إيجاد حل "عن طريق الاقتراع بدل الخرطوش" [42]، وأعربت عن أسفها لتصلب جبهة التحرير الوطني والمستوطنين المتطرفين الذين جعلوا من المستحيل التوصل إلى حلول بواسطة الانتخابات [43]. ووجدت أن برنامج 16 سبتمبر 1959 [44] الذي قدمه ديغول كانت له مزايا عظيمة ولم تتفطن إلاّ ببطء شديد إلى خطر التجزئة الذي يتضمنه هذا الحلّ ضمنيا والسبب الذي قد يدفع بجبهة التحرير الوطني إلى الاعتراض على استفتاء قائم على هذا الحلّ [45]. وفي النهاية وفي حوالي جافني 1961 استقبلت "**نيويورك تايمز**" بارتياح نتيجة الاستفتاء حول "الجزائر الجزائرية" الذي فتح الطريق أمام مفاوضات "إيفيان" وللاستقلال [46].

كثيرا ما قيل أن صحيفة "**نيويورك تايمز**" في منتصف هذا القرن تمثل آراء مجموعة غير رسمية من دبلوماسيين ورجال أعمال وأخصائيين

معروفين تحت اسم «Foreign Policy Establishment» أو (ترسيخ سياسة خارجية). وواضح من خلال قراءة افتتاحية "**نيويورك تايمز**" حول حرب التحرير الجزائرية طوال ست سنوات، أنه لا توجد أية نقطة بارزة في سياسة أيزنهاور تجاه الجزائر أعربت بشأنها "**نيويورك تايمز**" علنيا رأيا مُخالفا. فقد ساندت إلى غاية نهاية عام 1958 معارضة أمريكا لإدراج القضية الجزائرية في جدول أعمال الجمعية العامة للأمم المتحدة كما ساندت القرار الأمريكي بالامتناع عن التصويت في عام 1959. واستقبلت الصحيفة بارتياح سياسة "ديلتون" في عام 1956 وأدانت تدخل كيندي ومانسفيلد لفائدة الجزائريين في سنتي 1957 و1958 [47]. وساندت من جهة أخرى ما عبرت عنه الولايات المتحدة من ارتباك بخصوص العلاقات بين الجمهورية الرابعة وتونس والمغرب، وهي العلاقات التي كانت تسير من سيء إلى أسوأ ، وانضمت الصحيفة إلى الدعم المقدم من الإدارة بعد شهر ماي 1958 إلى جهود الجنرال ديغول من أجل التوصل إلى حلّ. إن الوفاء الذي أظهرته "**نيويورك تايمز**" للسياسة الأمريكية تدفع بالباحث إلى التساؤل ما إذا كانت الصحيفة تعمل على أساس تحليل مماثل أو على الأقل شديد التشابه للواقع الجزائري. إن مثل هذا الاستنتاج يبدو مبررا على أساس الدلائل غير المباشرة وربما بناء على دلائل مباشرة.

اليمين الأمريكي

إن الحزب الجمهوري تحت قيادة دوايت أيزنهاور كان من وجه النظر السياسية على يمين الوسط وفي مجال السياسة الخارجية حاول في الواقع أن يُمدد في أوج عهد الحرب الباردة التعاون الثنائي مع الديمقراطيين، وهو التعاون الذي بدأ في الظروف الاستعجالية التي طبعت الحرب العالمية الثانية [48]. وعلى يمين القيادة الوسطية في الحزب توجد الكتلة المحافظة التي كان أبرز الناطقين باسمها ويليام ف. بوكلاي William Bukley الذي قام مع مجموعة من رفاق له من نفس الاتجاه بتأسيس "ناشيونل ريفيو" National Review في عام 1955.

وقد ورد التعبير عن بعض آراء National Review في شكل مُلطف في جريدة "**نيويورك تايمز**" ونشريات أخرى محافظة أقل في حين أن آراء أخرى تبدو أنها خاصة بأصحابها هؤلاء وبكتلتهم السياسية.

وفي أساس الـ" **ويلتنشونغ**" Weltenschauung لـ ويليام ف. بوكلاي، جايمسبور نهام William F. Bukley وناشرين آخرين ومساهمين منتظمين، يبدو أنه تسود نظرية شبه هيجيلية ظهرت في منتصف القرن العشرين، وهي نظرية تجعل الأعمال والأحداث والواقع الاجتماعي تتوقف على تفاعل الأفكار

المجردة مثل الشيوعية والعالم الشرقي والغرب والحضارة والبربرية. والجزائر في نظر "ناشيونال ريفيو" لم تكن أبدا أمة بين

الأمم بل وقع احتلالها من طرف عدد من القبائل وغُزاة فاتحين متعاقبين إلى حين :

"وصل الفرنسيون ليس كمجرد فاتحين ومستغلين وقائمين بالإدارة الاستعمارية ولكن كما حصل الأمر لأجدادنا بالذات الذين كانوا في نفس الحقبة الزمنية كانوا يفتحون الحدود الغربية كمعمرين دائمين قائمين بالإدماج وناشرين للحضارة" [49].

لذلك فإن مسلمي الجزائر، وهم مواطنون فرنسيون قدموا الدليل على وفائهم السامي لفرنسا في الحرب من 1914 إلى 1918. وإن الثقافات المحلية التي تجاوزتها الحضارة الغربية الرفيعة في طريقها نحو الاندثار من أقصى أفريقيا إلى أقصى الصين. ثم إن ظهور قومية جزائرية تتعلق بها فقط حفنة من الشبان الجزائريين المتعصبين، لا يمكن تفسيره كمحاكاة غير طبيعية وفي غير محلها للغرب في مجهود لا طائل من ورائه من أجل إيقاف مسار الاندماج الثقافي التاريخي. "إن السواد الأعظم من المسلمين يُفضل سيادة فرنسا المتحضرة على دكتاتورية "الفلاقة" الإجرامية" [50].

وفي حالة هذا التمرد الذي يُعاكس مجرى التاريخ والذي من المفروض أن يتم التحكم فيه ُحقن الأفكار الأساسية للشيوعية والشرق. وفي بداية 1956 لاحظ ناشر من "ناشيونال ريفيو" أن :

"العالم يتدهور بسرعة ... والسوفيات أنجزوا تقدما حاسما حقا في اتجاه تحقيق هدفهم الإستراتيجي المتمثل في خنق الغرب من خلال قطع شرايينه غير الأوروبية... في أفريقيا حيث الإمبراطورية الفرنسية قد فقدت مواقعها والحركة الوطنية تسير نحو النصر في الجزائر والمغرب في طريقه إلى أن يُصبح تدريجيا شيوعيا والقواعد الأمريكية في شمال أفريقيا لا يمكن الدفاع عنها. [51]. ولكن في داخل الغرب بالذات تستمر الشيوعية في مواصلة أهدافها، وقد اعتُبِر هذا على أنه السبب الرئيسي في ضعف السياسة الفرنسية وهذا ما يجعل النظام يستحيل عليه أن يتصرف بكلّ صرامة مع التمرد أو أن يُجري مفاوضات جدية مع قادته. فمولي Mollet عون من أعوان الشيوعية [52]. وليس في استطاعة أية حكومة فرنسية أن تنتهج سياسة خارجية متماسكة لأن رُبُع الأمة انفصلت تحت العلم الشيوعي وقسم كبير من باقي الأمة انزوى في العدمية الأخلاقية nihilismemoral[53]. كما أن الجيش لم يعُد بالإمكان اعتبارُهُ أداة للسياسة الوطنية لأن ما يعادل 25 إلى 30 في المائة من صفوفه من الشيوعيين [54].

لكن الشرق هو الآخر دخل في الصراع وهو على وشك القبض على أفريقيا بين مخالبه بواسطة جامعة عربية تحت قبضة القاهرة ويدعمها الاتحاد السوفياتي. وفي مجموعة من مقالات افتتاحية على مدى أكثر من ست سنوات قدمت "ناشيونال ريفيو" بصورة مفصلة قناعتها بأن مستقبل أوروبا يتوقف في جزء كبير منه على التحول

الذي تشهده أفريقيا البدائية والمستعمرة في حدود غربية مليئة بالحيوية وأن هذه المسئولية تقع خصوصا على فرنسا التي تتمثل مهمتها الأولى في إيجاد حلٍّ ناجح للنزاع في الجزائر التي هي بوابة أفريقيا [55]. وإن الخطر المحدّق هو أن هذا "أوروأفريك" الكامن سيؤول عن طريق الشفعة إلى الشرق ويُصبح "أفريكازي" [56]. ومن هذه الزاوية يظهر الهجوم الفرنسي البريطاني على السويس في عام 1956 كان بمثابة مجهود لتجميد أضعف النقاط لولوج الشرق إلى أفريقيا وقد قاد جون فوستر دولس ودويت أيزنهاور وانحطاط الجمهورية الرابعة الغرب إلى الهزيمة في هذه المعركة [57].

إن تجديد الجزائر وأفريقيا تحت رعاية الغرب لا علاقة له بالامبريالية السائدة في القرن التاسع عشر. إن بناء "الأورو أفريك" من اختصاص الحضارة والتاريخ والنقابيين من أمثال إيرفينغ براون Irving Brown أو أعضاء من مجلس الشيوخ من أمثال جون ف. كيندي وهوبر هـ. هيمفري Hubert H. Humphrey الذين يرفعون بنوع من السذاجة شعارات مناهضة للاستعمار والذين لا يعملون سوى في مصلحة العدو الشيوعي [58]. ويتعين على الولايات المتحدة أن تساند فرنسا قبل فوات الأوان في مجهود سياسي واقتصادي عظيم من أجل حماية حدودها الجنوبية خدمة للحضارة الغربية.

وكـان الناشـرون يعتقـدون في الأول أن ديغـول، وهـو الرجـل ذو النظرة العالمية حقا، يُشاركهم التصور بشأن مستقبل الجزائر وأفريقيا. وحينما بدأ ديغول يتكلم للجزائريين عن تقرير المصير وحلول ديمقراطية لم تر "ناشيونال ريفيو" في ذلك في البداية سوى خطابا الهدف منه طمأنة قوى المعارضة [59]. في النهاية حينما طلب ديغول استفتاء حول سياسته التي تستند إلى "جزائر جزائرية" استسلمت "ناشيونال ريفيو" مغتاظة ومقتنعة أن "الشيوعيين والثوار الجزائريين سينشرون الرعب في البلاد لقطع كل العلاقات مع فرنسا ولرمي الجزائر في جبهة أفريقية شمالية معادية للغرب وفي خدمة أهداف موسكو الإستراتيجية" [60].

اليسار الأمريكي

اليسار الأمريكي في هذا القرن كان أهم العناصر في الحزب الديمقراطي حيث ينتسب إلى الطبقات الاجتماعية كافة. ورغم أنه لم يسلم من تأثير الأفكار الاشتراكية التي كانت تأتيه من أوروبا فإن إيديولوجيته السائدة تقوم على شكل من اللبرالية الانجليزية الأمريكية التي تتمسك بعدم اللجوء إلى المبادئ اللبرالية الكلاسيكية إلاّ بعد تحليل دقيق لعواقبها الاجتماعية إنها اللبرالية التي لها أحيانا لون من ألوان الاشتراكية والتي تطبع أكثر من غيرها وجهة نظر "نيو ربا بليك" New Republic التي أعربت منذ بداية الثورة الجزائرية عن حزنها لدعم الاستعمار من جانب إدارة أيزنها ور.

إن تحليل النزاع الجزائري في "نيو ريبا بليك" يُثير تساؤلات حول حقوق الأفراد وحق الشعوب في تقرير المصير والفقر والحرص على القيم والكرامة البشرية. وإن حالة فرنسا – حسب نيو ريبا بليك" في عام 1955 تقوم على التصوّر أن الجزائر جزء لا يتجزأ من فرنسا ؛ ولكن حسب كل المعايير الأساسية التي تنظم تعريف مفهوم الجنسية فإن الأمور ليست هكذا. فثمانية ملايين من أصل تسعة من سكان الجزائر ليسوا فرنسيين. ودون الأخذ في الاعتبار صراحة مسألة معرفة ما إذا لم يكن الاندماج في يوم من الأيام إمكانية واقعية تقول "نيو ربا بليك" "إن الأعمال الفرنسية خلال السنة المنصرمة قطعت الروابط التي تُشكل الأمم ولا يمكن أن نجد عربيا واحدا يُناصر الاندماج". ثم إن رفض الاندماج هو رفض كامل أيضا في فرنسا حيث يتقهقر بعض الفرنسيين المحافظين الذين مازالوا ينادون في الخارج بهذه الفكرة، أمام فظاعة عواقبها السياسية [61].

في 1956 تطرق أحد المقالات إلى شرح المشوار السياسي لفرحات عباس منذ 1927، الرجل الذي لا يصعُبُ على أي ليبرالي أمريكي أن لا يتبنى مواقفه لإظهار نقص حدّة الذهن لدى النظام الاستعماري والنضج الذي لا شك فيه لدى الحركة الوطنية الجزائرية [62]. وهناك مقال آخر من نفس الحقبة الزمنية يشرح أن الفرنسيين

الذي أقصوا الجزائريين بصورة منهجية من مشاركة جدية في المسار السياسي، وبذلك فقد ضمنوا مع مرّ الزمن وضعا لم يعُد يوجد فيه جزائريون يمكنهم التواصل معهم [63]. وخلافا لزملائهم في "نيويورك تايمز" أو "ناشيونال ريفيو"، الذين كانوا يرون حرب التحرير الجزائرية انطلاقا من منظورات خارجية، فإن ناشري "نيو ريبابليك" لم يتوقفوا عن نشر التحقيق الصحفي عن رأي المسلمين وأقاموا في المناطق التي تقع تحت مراقبة جبهة التحرير الوطني وكانوا مقتنعين في وقت مبكر جدّا بالدعم الحماسي العجيب والمخلص الذي أبداه الشعب الجزائري للثورة [64].

وفي حين كان الناشرون لا يُبدون أية معرفة بهيكلة الاقتصاد الجزائري كتبوا أن البؤس المتصاعد من الأسباب الأساسية للثورة وأن فرنسا قد ساهمت في هذا البؤس من خلال تفضيلها إنتاج "نبيذ رخيص عوض الحبوب". وأنه مع النمو الديمغرافي السريع الناتج عن تقدم الطب، فإن متوسط استهلاك الحبوب لدى الإنسان العربي قد هبط بنسبة 40 في المائة في خلال 50 عاما [65]. إن انعدام التنمية الاقتصادية المنهجة والمتوازنة في بلد حيث يتمثل مورد الثروة الأكبر في إنفاق الإدارة الفرنسية وأشغالها العمومية، يُساهم في البطالة وسوء التشغيل المستفحل أصلا وسيسير من سيئ إلى أسوأ لو رحل الفرنسيون [66].

في النهاية إذا كانت "ناشيونال ريفيو" نادرا ما أشارت إلى كلفة الحرب من حيث الخسائر البشرية وإذا كانت "نيو يورك تايمز" "تأسف عما يحدُثُ من فضائع من الجانبين"، فإن نيو ريبا بليك" كانت متأكدة منذ أكتوبر 1955 أنه يكفي حتى العشر من عدد الأرواح التي حصدتها فرنسا حتى ذلك الوقت، لحمل الأمم المتحدة على مناقشة النزاع. وبما أن الأعمال التعسفية التي كان يرتكبها الجيش والبوليس الفرنسي في تفاقم فإن سخط الناشرين ما فتئ في تزايد.

"إن حروب الهند الصينية والمعارك في المغرب وفي تونس وتفكك الامبراطورية كانت تُعتبر عموما متماشية مع القوة الوطنية ومع ذلك وفي كل حالة تفقد فرنسا مواقع أمامية ومستعمرات هامة. ولكن مع الكفاح الجزائري ظهر شيء آخر على الساحة أكثر شؤما. إنه التحدي لأكثر الأساطير السائدة حول عظمة فرنسا من حيث مبادئ المساواة والالتزام بقيم الإنسانية والحرية الشخصية والكمال" [67].

وقد أشارت صحيفة "نيو ريبا بليك" من خلال عنوانها الأول حول الثورة الجزائرية (بقلم دينيس هيلي Dennis Healy) : "من الناحية الأخرى من السياج الاستعماري" في 1955، إلى عدم موافقتها على موقف الإدارة

الأمريكية. وكان هذا موقف لا يتناغم مع المبادئ الأمريكية ومع احتجاجات زعمائنا التي لا تتوقف وفي الأخير مع المصالح الأمريكية.

"لقد تحدثنا كل يوم اثنين وكأننا نتعاطف مع التطلعات القومية لشعوب الشرق الأوسط ولكن في أيام الثلاثاء يخِفُّ هذا التعاطف من خلال نفورنا من فكرة عدم تضامننا مع الحرب البغيضة التي يشنها الفرنسيون على الجزائريين. وقلنا من حين لآخر أننا أدركنا أن البؤس كان السبب الأول في التوتر ورغم ذلك لم نقم بأي عمل جدّي في المنطقة ضد البؤس. أخيرا تكلمنا وتحركنا... وكأن السياسة المناهضة للشيوعية كانت هي كل ما يجب فعلُه. والحال غير ذلك" [68].

وفي رأي الناشرين فإن أي حلٍّ لا يعترف بالاستقلال التام أصبح من الآن غير ممكن تماما. وأعربوا عن أسفهم عن الدعم العسكري الذي تقدمه الولايات المتحدة لفرنسا وناشدوا بلادهم بأن تضع كل سمعتها في خدمة حلّ عادل في الجزائر وكذلك في الشرق الأوسط والأفضل أن يكون ذلك تحت رعاية الأمم المتحدة.

وكانت الحركة النقابية الأمريكية القوية التي عادت إلى الحزب الديمقراطي تُشارك إلى حدّ كبير أيديولوجية اللبرالية الأنجلو- أمريكية. وقد هاجم إيرفينغ براون Irving Brown الممثل في أوروبا للفدرالية الأمريكية للعمل ومؤتمر المنظمات الصناعية اللتين اندمجتا قبل فترة قصيرة، هاجم في خطاب له حول السياسة الخارجية موجه إلى الأمة في عام 1956،

المواقف الفرنسية ووصفها بأنها مجهود "لعرقلة مسيرة التاريخ". وإنه يرى أن المحاربين الجزائريين يمثلون الاقتداء الحقيقي للبرالية الفرنسية وأكد أن تبني فرنسا سياسة استعمارية لم يكتفِ فقط بوقف التنمية الاقتصادية والاجتماعية للشعب الجزائري وإنما ساهم أيضا في "تقدم استعمار سوفياتي جديد في توسع". إنه يقع على الحلفاء إذن أن يعملوا، خدمة للجميع، على تحقيق هدف توجيه القوميين الجدد نحو "طُرُق الديمقراطية" [69]. وقد طالب كل من والتر روثر Walter Reuther من وكالة ALF وجورج ميني George Meany من الـ CIO دوما بإنهاء الدعم العسكري الأمريكي للقمع الفرنسي [70]. ولكن النقابيين – رغم دعمهم المتين للجزائريين يبدون على خلاف ناشري "نيو ريبا بليك" مستعدين للقبول بحلّ وسط لا يصل إلى حدّ الاستقلال التام. في البداية كانت مطالبهم تتمثل في جعل الولايات المتحدة تُنهي دعمها لفرنسا وتؤدي دور الوسيط. وفي حوالي 1958 ذهب إيرفينغ براون إلى جبهة التحرير الوطني ليدعوها إلى القبول بعرض التفاوض الأول المُقدم من طرف ديغول [71].

الرأي العام اليهودي الأمريكي

رغم أن عدد اليهود في الولايات المتحدة يقل عن 3 في المائة من مجموع السكان فإن الأدوار الجوهرية التي تمكنوا من أدائها في الخمسينيات في مجال التربية والصحافة والسياسة أعطتهم نفوذا أوسع لا تُشير إليه الأرقام. ومن أجل أخذ عينات عن الرأي العام

اليهودي قُمت بدراسة المقالات الدورية الشهرية في جريدة "كومنتري" Commentary التي تموِّلها اللجنة اليهودية الأمريكية والتي كانت على الأرجح الصحيفة التي تحظى بأكثر احترامٍمن بين الدوريات اليهودية ذات السحب الكبير. وفي حين كان شكل جريدة "كومنتري" حينذاك لا يتضمن مقالات افتتاحية رسمية فقد كانت صراحة الصحيفة متصلبة الرأي ويمكن للمرء أن يفترض أن في اختيار مقالاتها توجد علاقة مع أولويات اتجاهات مالكي الجريدة وقرّائها.

وما يلفت الانتباه أكثر من غيره بخصوص وجهة نظر جريدة "كومنتري" حول الجزائر هو سكوتها. فما عدا نقاش عام قام به البروفيسور بنيمين ريفلين Benjamin Rivlin من بروكلين Brooklyn حول الإسلام والعروبة في أفريقيا الشمالية [72]لم يرد فيها ولا مقال واحد طوال ثماني سنوات يكون موجها للوصف أو للتحليل بأي شكل من الأشكال، عن حرب التحرير الوطنية في الجزائر. على أنه نجد ثلاث مقالات تُعالج تأثير الثورات في المنطقة على اليهود في البلدان المغاربية [73]. ونجد أيضا مناقشات حول تأثير المعضلة الجزائرية في السياسة الفرنسية وفي معنويات المثقفين الفرنسيين [(74)]. وما عدا هذا ظهر مقال بقلم ساموال ل. بلومنفيلد Samuel L. Blumenfeld في عام 1961 وضع الجزائر في سياقها الأوسع :

"إن كل من لهم معرفة أكثر من سطحية عن حيل وأهداف الشيوعية العالمية وحلفائها من القوميين العرب، سيُدركون ما هو المقصود من حرب الجزائر. وبالنسبة لليهود فإن هذا له دلالة خاصة بما أن مصير إسرائيل – سواء كانوا عن وعي بذلك أم لا – يتوقف على نتيجة النزاع الجزائري. إن هدف الروس، وهذا بديهي، هو تجاوز حلف الناتو من خلال إقامة قواعد استراتيجية على ساحل شمال أفريقيا. وهذه القواعد ستُمثل الثمن الذي سيدفعه فرحات عباس مقابل الدعم السوفياتي. وبعد انهزام فرنسا سيوجه العالم العربي اهتمامه كاملا نحو العدوّ الرئيسي، إسرائيل" [75].

وبما أن اليهود في الولايات المتحدة كانوا إلى ذلك الحين مشاركين بصورة وثيقة مع اللبرالية الأمريكية. ومن المهم ملاحظة التوافق الجزئي من وجهة النظر هذه مع "ناشيونال ريفيو" المحافظة. والأهم من ذلك هو عدم قُدرة الرأي العام اليهودي – رغم تقاليده اللبرالية- عن الالتحاق بباقي اليسار الأمريكي في دعمه شبه الكامل لحقوق الشعب الجزائري ومستقبله.

الرأي العام المسيحي الأمريكي

بالرغم من أن الكنيسة الكاثوليكية في الولايات المتحدة لم تتدخل في مسائل السياسة الخارجية بصورة بارزة، إلا ابتداء من الستينيات فإنه يمكن للمرء أن يرى بوادر ذلك قبل عشر سنوات من

خلال المعالجة التي قامت بها صحيفة "كومنويل" Commonweal للثورة الجزائرية في مقالين "معركة من أجل المستقبل" و"حصاد مرير في الجزائر" بقلم صحافي فرنسي. لقد صورت الـ "كومنويل" بكل عناية لقُرّائها الرهان الذي تمثله الحرب في الجزائر [76]. وخلُصت هذه الصحيفة في افتتاحيتها المنشورة في خريف 1955 إلى القول أن مصدر المآسي الجزائرية هو أنانية "المستوطنين المحافظين المتطرفين الأغنياء والإقطاعيين الذين يرفضون القبول بحلول غير حلّ القوة، وخلافا للمزاعم فإنه لا يوجد سوى القليل من تأثير الشيوعية في العملية" [77].

وبعد مؤاخذة السلطات الفرنسية على ترك الأوضاع في الجزائر تتدهور مدة طويلة، عمل الناشرون على الموازنة بين مطالبات متناقضة بالنسبة للولايات المتحدة أي متطلبات حليف تقليدي مقابل مطالبات شعبٍ يُكافح من أجل حريته. والمطالبة ذات الدرجة العليا لم تكن تلك التي اعتمدتها الإدارة الأمريكية.

"لقد كنا دوما أصدقاء فرنسا ويُتعِبُنا أن نراها تتألم ولكننا علينا أن ننظر إلى أن أعين مليار من البشر المضطهدين موجهة إلينا وليس في وسعنا أن نتخذ تدابير متهورة، والتهور بالنسبة لأمريكا هو أن تكون إلى جانب من هم في المعسكر المعادي للحرية" [78].

وظلت "كومنويل" مع ذلك حساسة تجاه المسألة العملية المتمثلة في التوفيق بين المتطلبات الإستراتيجية والمصالح على الأمد البعيد ومع الأخلاق، وناشدت الولايات المتحدة برقة وحزم في نفس الوقت بأن

تُظهر بكل وضوح نتائج أعمالها القمعية في الجزائر على الرأي العام الأمريكي وبأن تضغط عليها من أجل تغيير سياستها قبل أن تحدث الكارثة، وكانت الولايات المتحدة في المدة الأخيرة مُضطرة لأن تُعطي "بوتيرة مأساوية دعمها للقِوى الاستعمارية التي هي كلها من حلفائنا" [79]. ولّما كان من غير الممكن عمليا التخلي عن حلفائها فإن الناشرين كانوا مقتنعين بأنه لابد على الأمم الغربية أن تتفق على "أجندة إصلاحات متدرجة" في المناطق التي مازالت تخضع للاستعمار، وهذا ما يمكن شيئا فشيئا من إخراج الولايات المتحدة من هذه المعضلة [80].

وكان تحليل صحيفة "كريستيان سانتشري" « Christian Century» يختلف عن تحليل الـ "كومنويل" في الأسلوب أكثر من المضمون. فإذا كان المضمون يجري التعبير عنه بصورة صارمة وبصوت غير عادي يختلف في مجال المصلحة الوطنية عن الزعامة الأمريكية حيث نطقت الأولى بلهجة سلطة مؤسسة بروتستانية كانت تُعبر عن الوعي الجماعي للأمة منذ نشأتها. وأسباب هذا النزاع في نظر"كريستيانسانتشري" تتمثل في الفوارق في الثروات والأحوال المدنية والسياسية والتصلب الفظيع الذي يُبديه المستوطنون [81].

وفي إدانة "نيو يورك تايمز" لـ "الغيظ المضاد للاستعمار" في الأمم المتحدة" استشف الناشرون في "كريسيانسان تشري" تفسيرا

مُحزنا لمسيرة التاريخ [82] : فقد صرحوا في افتتاحيتهم الأولى حول الجزائر دون مُداراة أنه "لم يعُد من الصحيح القول بعدم بقاء وقت كثير للفرنسيين في أفريقيا الشمالية – لم يعد لهم وقت" [83]. وتطرق جورج و. شيفرد George W. Shepherd في دراسة منظورية تيولوجية إلى العقيدة المسيحيةالمتمثلة في "الحرب العادلة" (bellumjustum) وخلُص إلى القول بأن الحرب في الجزائر هي حرب جائرةوعلى المسيحيين أن يُعارضوها في ضمائرهم وفي كنائسهم [84].

وردّا على الانتقادات التي تشك في أن يكون الاستقلال أفضل مصلحة للجزائريين، قال غارلاند إيفنس هوبكينس Garland Evans Hopkins إن التساؤل عما إذا كانت الجزائر قادرة على أن تحكم نفسها بنفسها تساؤل لا محل له. فهي ستنال استقلالها مهما كانت الوسائلوعلى الولايات المتحدة أن تتصرف تبعا لذلك" [85].

ونظرا إلى أن عددا من الكتاب يأسفون للدعم الدبلوماسي والعسكري المستمر الذي تُقدمه الولايات المتحدة لفرنسا، فإن السؤال الأخير الذي يبدو أنهم يطرحونه على أنفسهم هو : "ما دلالةفي المستقبل البعيد لرؤية هذه الأمة المتحجرة في ذهن العرب، كمناصرة عنيدة للإمبريالية الأوروبية ؟" [86].

الخلاصة

إن مأساة كفاح الجزائريين الطويل لاسترجاع مصيرهم بأيديهم أحدث نقاشا مُطوّلا بل ونقاشا مشغوفا عبر ربوع الولايات المتحدة. وفي قلب هذا النقاش كان يوجد واقع شرس تتعارض فيه الأخلاق مع مصلحة الدولة والمثالية مع البراغماتية والماضي الرائد للولايات المتحدة مع مستقبلها كقوة عُظمى. وعلى الأرجح فإن صحيفة "نيو يورك تايمز" التي كشفت التناقضات إلى جانب طريقة تفكير رجال السلطة، قد اختارت بانتظام مصلحة الدولة والبراغماتية ومستقبل القوة العُظمى. وتمسك اليمين بالمُثُل الديمقراطية والحضارة ونادى بسياسة استعمارية أكثر صرامة من "نيويورك تايمز". ثم إن مقالات اليهود في صحيفة "كومنتري" تجنبت التعليق عن هذه المعضلة. إن من اختار الأخلاق والمثل العليا والتقاليد التي كان يتمسك بها أجدادهم هم زعماء الحركات النقابية الأمريكية والديمقراطيون اللبراليون الذين يحرِصون على القيم اللائكية والدينية، ولا شك في أن هذه المجموعة الأخيرة من الكتاب كانوا قريبين من آراء الأغلبية من الأمريكيين أكثر من المجموعة الأولى، وذلك بسبب تنوع الطبقات الاجتماعية التي يمثلونها. وإن أثر الشعور المناصِر للجزائر والمناهض للاستعمار في هذه المنشورات كان بارزا في أكثر من جانب. فمنذ بداية العام 1957 أثارت سياسة أيزنهاورودولس تجاه الجزائر السخط

لدى الزعماء البارزين في المعارضة الديمقراطية [87]. وفي ذات الوقت أدت داخل الحزب الجمهوري بالذات إلى إعادة النظر في مصالح أمريكا على الأمد البعيد وفي استمرار سياستها المفروض أن تكون براغماتية. وتُفسّر هذه الضغوط الداخلية إلى جانب التناغم المتزايد لكتلة الأمم الآفرو- آسيوية التي لا تريد الإدارة الأمريكية إغضابها، التخير في الخطاب الصادر من الإدارة الأمريكية.

على أنه من الواضح أنه حتى وإن كان الناشرون الذين يعكسون آراء الأغلبية من الأمريكيين قد شجعوا في الواقع ظهور سياسة تجاه الجزائر تتناسب أكثر مع المُثُل العليا الأمريكية، فإن إدارة أيزنهاور قد أنهت عُهدتها الثانية في جافني 1961 دون تغيير جوهري في طريقة تعاملها مع فرنسا والجزائر. وبناء على ذلك ما هي إذن دلالة الرأي العام في صياغة السياسة الخارجية في الولايات المتحدة الأمريكية ؟ ويبدو حسب البديهيات المجمعة في هذه الدراسة إنه إذا كان الرأي العام لا يهتم سوى بالمسائل الأخلاقية والذهنية فإن نفوذها المباشر سيكون ضئيلا جدا. ويمكن أن تكمن أسباب ذلك في ديناميكية السياسة الانتخابية الأمريكية [88]. فالناخبون في قراراتهم باستثمار أموالهم أو التبرع بشيء من وقتهم أو إعطاء أصواتهم للسياسيين يزنون في أذهانهم المواقف التي اتخذها المرشح بشأن عدد من القضايا. وفي امتحان مثل هذا يُوجه الاهتمام الأكبر إلى المسائل التي يرون أنها تؤثر مباشرة على مصالح الناخبين وفي

العادة يكون للمسائل الداخلية ثِقل أكثر من القضايا الخارجية، اللهم إذا كانت مسألة من مسائل السياسة الخارجية يُنظر إليها على أن لها تأثير مباشر على الأفراد (السياسة التجارية، الحرب والسلم، رفاهية مجموعة عرقية منتسِبة إلى الخارج)، فإن حظوظ تأثيرها جديا على الفرد في الانتخابات ضئيلة جدا. ويبدو من الواضح أن أغلبية الأمريكيين المطلعين جيدا على الأمور كانوا مقتنعين بأن الحق كان من جانب الجزائريين الذين كانوا يُكافحون من أجل الحرية، وأن حكومتهم كانت على غير صواب حينما كانت تُساندُ فرنسا. وهذه الاقتناعات وحدها كانت غير كافية لحملهم على فرض تغيير في السياسة الأمريكية.

الهوامش

(1) Voir Benjamin Rivin, «The NorthAfrican Challenge» Current History, XXXIV n° 199, Mar 1958, 147-151, Richard et Joan Brace, Ordéal in Algeria 'New York : 1960) ; Charles Callagher, The United States and NorthAfrica (New York : 1962), R. D. Mc Laurin «The United States and the Algerian Revolution : 1962) ; R. D. Mc Laurin «The United States and the Algerian Revolution : 1962) ; A review of Policy Formation» Maghrib Digest, V. Jan-Mar 1967, 20-60 ; Robert Lee Hamburger «Franco-American Relations, 1940-1962 : The Role of United States Anti-colonialism And Anti-Communism, in the formulation of United States Policy on the Algerian Question» thèse University of Notre Dame (South Bend, Indiana : 1971).

(2) صحيفة "لوموند" يوم 21 مارس 1956

(3) نيويورك تايمز الصادرة يوم 8 أوت 1955.

(4) أنظر أيضا 17 فيفري 57 و31 مارس 55 وأول مارس 58 و2 ماي 58.

(5) 2 سبتمبر 55.

(6) 18 أكتوبر 55.

(7) إنه الموضوع الرئيسي لمجموعة طويلة من مقالات افتتاحية (أنظر 22 جوان وأول نوفمبر 56 و4 فيفري و 26 ماي و3 جويلية و21 أوت 57 و24 جوان 58.

(8) أنظر مثلا 8 أوت 55 و21 أوت 57 وأول مارس و9 ديسمبر 58.

(9) 9 ماي 56

(10) 4 فيفري 57

(11) 3 و5 أكتوبر 55

(12) 3جانفي 56

(13) 7 أكتوبر 55

(14) 3 جانفي و9 ماي 56

(15) 6 جانفي 56

(16) 4 فيفري 57.

(17) Ibid.

(18) 17 جوان 56.

(19) 26 ماي 57 : أنظر أيضا 23 أوت 55 و17 جوان و26 جوان 56 و4 فيفري 57 و20 سبتمبر 58.

(20) 11 جوان 58 و24 جوان 58 و11 نوفمبر 58 و16 جانفي 59 و31 جانفي 59 و6 ماي 59 و21 نوفمبر 29 و20 جانفي 60.

(21) 27 مارس 59.

(22) 22 جوان 60

(23) أنظر مثلا المقالات الافتتاحية الصادرة أيام 11 فيفري 56 و9 ماي 56 و4 فيفري و3 مارس 57 و9 فيفري و22 جوان 60.

(24) 2 سبتمبر 55 و2 فيفري 56.

(25) 8 أوت 55.

(26) 3 مارس 56.

(27) 9 ماي 56

(28) 22 جانفي 59. (29) 28 جانفي 60.

(29) 21 أوت 57 وقبله.

(30) أول مارس 58 : أنظر أيضا 21 فيفري 58 و25 أكتوبر 56.

(31) 24 جوان و5 جويلية و15 أكتوبر و11 نوفمبر و9 ديسمبر 58 و16 جافني و 28 فيفري و27 مارس و17 سبتمبر 59 و7 سبتمبر و26 ديسمبر 60.

(32) 16 ديسمبر 59.

(33) 22 جوان 55.

(34) 18 أكتوبر 55.

(35) 3 جانفي 56.

(36), loc. cit «De Gulle Strategy in Algeria»

(37) «Algeria French or Red ?», loc. cit.

(38) Dennis Healy «On the Wrong side of the colonial France», The New Republic, 10

(39) 9 ماي 59.

(40) 26 جوان 56.

(41) 21 أوت 57.

(42) أول ديسمبر 57.

(43) 2 ماي 58.

(44) 5 جويلية 58 و11 نوفمبر 56

(45) 11 جوان و20 سبتمبر 58 و31 جانفي و6 ماي 59 و28 جانفي 60.

(46) 17 سبتمبر 59.

(47) 9 فيفري 60

(48) 10 جانفي 61.

(49) 3 جويلية 57 و6 جانفي 1958.

(50) عدد مُعتبر من الديمقراطيين كانوا يتعاونون مع القادة الجمهوريين في الخمسينيات لاعتماد سياسة خارجية مشتركة.

(51) James Burnham «De Gaulle and Africa», National Review, V n° 24 (24 June 58), 564

(52) strategy in Algeria, «Ibid., VIII, n°. 11 (12 Mars 1960), 169-170 ; voir aussi l'article de J. Dervin, «Can France HoldNorthAfrica ?» I n° 4 (14 December 1955), 9. 11 qui présente une analyse différente. E. V. Kuenhelth- Leddihn, De Gaulle's

(53) National Review, I. n°. 12 (8 February 1956). 22 ; voir aussi «The FLN in the School of Mao» Ibid., IX, n° 2 (16 July 1960). 9-10 ; «Algeria French or red ?» Ibid., IX n° 22 (3 December 1960), 336-337. 5)I, 13 (15 February 1956) ; après l'invasion franco-britannique de Suez, l'opinion de National Review à l'égard de Mollet, avait nettement changé.

(54) «The Wound is Internal, IV, n° 24 (21December 1957), 558-59 ; voiraussil'articleéditorialdans I n° 23 (25 April 1956). 15.

(55) Thomas J. McIntosh, «Letter From Paris,» II, n° 7 (4July 1956), 11.

(56) «De Gaulle's final Stake», VII, n° 27 (26 September 1959), 352-53 ; voiraussi «De Gaulle and Africa» loc. cit., «Charles the Difficult» VII, n°. 16 (1 August 1959, 232 ; «De Gaulle's Strategy in Algeria» loc. cit.

(57) J. Dervin «Eurafrica &Africasia» I, n° 15 (29 February 1956) 13-14.

(58) «De Gaulle and Africa» loc. cit.

(59) «Charles De Gaulle the Difficult» loc. cit. October 1955, 2, 3.

(60) Percy Winner, «And Have not, Charity,» 21 May 1956, 7.

(61) Dennis Healy, «Algeria – No peace in Sight,» 18 June 1956, 7.

(62) Winner, loc. cit. ; George Shepherd, «The War That Doesn't End,» 19 November 1956, 9 – 10 ; Joseph Kraft, «Algeria – Not Tunisia – Is Pivotal Issue,» 24 February 1958, 10-11

(63) Shepherd, loc. cit.

(64) Kraft, loc. cit.

(65) Loc. cit.
(66) Hugh Massingham «Sharing the blame» November 19, 1956,5-7. ĭvoiraussi Healy «Colonial Fence» loc.

(67) "نيويورك تايمز" 3 جوان 56

(68) Ibid., 30 August 1955, voiraussi Richard and Joan Brace, op. cit., 138-139.

(71) 26 سبتمبر 1958

(69) Benjamin Rivlin, «North Africa Meets the modern World,» Commentary, XXII n° 4 (Oct. 1956), 344 – 350.
(70) Hal Leherman «North Africa's Dilemmas, for American Jewry» Ibid., XIX, n° 3 (mars 1955), 225 – 235 ; Jean Daniel, «The Jewish Future in Algeria» XXXIV, n°3 (septembre1962), 988-1003 ; Samuel L. Blumenfeld, «Algeria Independence and the Jews» XXXI, n° 6 (June1961) 524 – 527.
(71) Alan Ray «Can De Gaulle Check the Gaullists ?», XXVII, n° 1 (January 1959), 9-16 et «The political Crisis,» XXXI n° 11 (January 1961), 14 – 20 ; Joseph Barry, «Moral Crisis in France» Ibid., 21 – 27.
(72) Loc. cit.
(73) Robert Barrat, «Battle for the future,» LXII, n° 7 (20 May 1955), 178-80 et «Bitter Harvest in Algeria,» Ibid., n° 16 (22 July 1955) 396-98.
(74) Commonweal, LXII, August 1955, 509 n° 21 (26 ´
(75) Ibid.
(76) «The Crisis of colonialism» LXIII, n° 6 (11 November 1955), 134.
(77) Ibid.
(78) George W. Shepherd, Jr, (The Franco-Algerian war», The Christian Century, LXXIII, n° 32 (3 August 1956) 912-20
(79) LXXII n° 42 (19 October 1956) 1195-96.
(80) LXXII n° 35 (31 August 1955) 987.
(81) 41 (10 October 1956), 1063-65 «The Unjust War,» LXXIII, n°
(82) «Algeria Will Be Free !», LXXIII, n° 31 (30 July 1958), 874
(83) LXXII, n° 35 (31 August 1955), 987.

(84) إذا كانت أغلبية قادة الحزب الديمقراطي تعارض سياسة الإدارة لا بدّ من الإقرار بوجود من يُساندها من أمثال أدلايستيفنسن AdlaiStevensen وديـن آشسون Dean Acheson.

(85) نائب الرئيس ريشار نيكسون قد يكون أحد الأصوات من داخل الحكومة التي كانت تتصح بمزيد من الاهتمام بالوطنيين الجزائريين.

(86) أنظر دراستين حول إعداد السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية :

Gabriel Armond, The American People and Foreign Policy (New York : 1950) et Richard C. Snyder. American People and Foreign Policy Formulation Principes and Programs (New York 1954).